﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

[الفرقان: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تسليَةُ الحقِّ تعالى لرّسولِ ربِّ العالَمين

لمّا أخبر اللّهُ تعالى نبيَّه بحقيقة حالِ المشركين، وحكى له من قبائح أقوالهم وأفعالهم، وكان ذلك ممّا يُحزِنه ﷺ لشِدّة حِرصه على رجوعهم، ولزومِ ما ينفعُهم، واجتناب ما يضرُّهم؛ سَلّاه بقوله مُعجِّبًا من شناعة حالهم، وأعلمَهُ بأنّ مِثلَهم لا يُرجَى اهتداؤه؛ لأنَّهم جعلوا هواهم إلهَهُم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَوَىٰهُ﴾: (هوي) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خُلوٍّ وسقوطٍ، والهويُّ: السّقوط من أعلى، والهوى: هوى النّفس وما يُخالجها من حُبٍّ ورغبةٍ ومَيلٍ إلى الشّيء ونحوه، وسُمّي بذلك لأنّه يَهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلِّ داهيَةٍ، وفي الآخرة إلى الهاوية[2]، والتّعبير بأنّه مِن أهل الأهواء؛ أيْ: ممّن يزيغ وينحرف عنِ الطّريقة المُثلى الّتي يجب أن تكون[3]، ومعنى ﴿هَوَىٰهُ﴾ في سياق الآية: أنّ الرّجل مِن هؤلاء يعبُد حجرًا أو صنمًا ما، فإذا مالت نفسُه إلى غيره ورآه أحسنَ منه؛ رمى بالأوّل وعَبَدَ الثّاني؛ فجعل هواه إلهًا يُعبَد مِن دون اللّه تعالى[4].

2) ﴿وَكِيلًا﴾: (وكل) التّوكيل بمعنى التّفويض، والتّوكيل هو الاعتماد على غيرك، وتجعله ينوب عنك في شؤونك، والتّوكّل أن

(1) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 13/ 392، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 429، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 34.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (هوي).

(3) المُطرِّزي، المُغرِب في ترتيب المُعرِب، ص: 509.

(4) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 19/ 433.

تُظهِر العجز، فتعتمدَ على غيرك، واتَّكلتُ على فلانٍ في أمري، بمعنى الاعتماد عليه، و"الوكيل وصْفٌ لمَن يُعتَمد عليه في الأمور المُهمّة، فتكون مُكتفيًا في أمرك بالاعتماد عليه[1]، وإذا جعلت الأمرَ إلى غيرك فقد وكّلته[2]، والتَّوكّل منه، وهو إظهار العجز في الأمر"[3]، ومعنى الوكيل في الآية وهو خِطابٌ للرّسول ﷺ: أأنت تتوكّل عن هذا الكافر، وتُجبرُه على أن يدخل في الإسلام شاء أم أبى؟ والدّين اقتناعٌ لا إكراهَ فيه[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تعجيبُ اللهِ نبيَّه من أحوالِ الكافرين، والتّأكيدُ على أنّ الحفظَ والهدايةَ بيدِهِ تعالى

انظر وتأمّل أيّها الرّسول الكريم في أحوال هؤلاء الكافرين، فإنّك لن ترى جهالةً كجهالاتهم، لأنّهم إذا حَسّن لهم هواهم شيئًا اتّخذوه إلهًا لهم، مهما كان قُبح تصرفِهم، وانحطاطُ تفكيرهم، فهل مثلُ هؤلاء يَصلُحون لأنْ تهتمّ بأمرهم، أو تحزن لاستهزائهم؟ كلّا، إنّهم لا يصلحون لذلك، وعليك أن تَمضيَ في طريقك، فأنتَ لا تَقْدِر على حفظهم أو كفالتهم أو هدايتهم، وإنّما نحن الَّذين نَقدِر على ذلك، وسنتصرَّف معهم بما تقتضيه حكمتُنا ومشيئتنا[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

تسليةٌ للرّسولِ ومؤاساةٌ له، وتأكيدٌ على عدمِ اهتداءِ هؤلاءِ الضّالّين بدعوتِهِ

قولُه تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ جملةٌ استئنافيّة؛ لذلك فصَلَها عمّا سبق، والخطابُ فيها للرّسول ﷺ؛ تسليةً له وتخفيفًا ممّا يُلِمّ به منَ الحزن على ما يكون من قومه، إعراضًا عن دعوته، وهو الحريصُ على هُداهم، فأعلمَهُ في هذا الخطاب أنّ أمثالهم لا يُرتجَى

(1) الخليل، العين، والرّاغب، المُفرَدات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (وكل).
(2) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 489.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 429.
(5) طنطاويّ، التفسير الوسيط: 10/ 201.

هداهم؛ لاتّخاذهم الهوى لهم إلهًا[1]، ولمّا كانت هذه الجملة مُصدَّرة بالاستفهام ﴿أَرَءَيْتَ﴾؛ فهي إنشائيّة لفظًا ومعنًى، وما قبلَها خبريّة لفظًا ومعنًى في التّعبير عن مُقاربة الضّلال وما بعدَه، من قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾؛ فقد تُرك العطفُ بينَ الآيتيْن لكمالِ الانقطاعِ[2].

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغرضُه:

تعجيبٌ من شناعةِ حالِ الكفّارِ وقبائحِ أفعالِهم

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ لرسول الله ﷺ، وهو استفهامٌ تعجّبيٌّ من شناعةِ حالِ المشركين بعد حكايةِ ما قَبُح من أفعالهم، وبيانِ مصيرِهم ومآلهم، والتّنبيهِ على أنّ ذلك منَ الغرابةِ والدّهشةِ ما يستوجبُ أن يُرى ويُتعجَّبَ منه[3]، ويجوز أن يكون الاستفهامُ في هذه الجملةِ للتّوبيخِ؛ إنكارًا لفعلهم الَّذي فعلوه ويفعلونه؛ منِ اتّخاذهمُ الآلهةَ هواهم، ولجاجتِهم فيه من غيرِ تثبّتٍ ولا تفكيرٍ، ولا تَعرُّف للحقِّ المُبين[4].

دلالةُ التّعبير بالرّؤية مادّةً وصيغةً:

استفهامٌ عنِ الرّأي أو الرّؤيةِ تنبيهًا وتمهيدًا لِما بعدَه من نبأٍ غريبٍ أو عجيبٍ

فعلُ الرّؤية في كلامِ العربِ يدلُّ على الرّؤية البصريّة، والرّؤيةِ العلميّة، وعبارةُ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في الآية هي استفهامٌ عنِ الرّأي، أو عنِ الرّؤية الدّالّة على العِلْم، وهو استفهامٌ تقريريٌّ المُراد منه: التّنبيهُ والتّوطئَة لِما سيُذْكر غِبُّه منَ الأخبار الغريبة، والأنباء العجيبة، أو هو استفهامٌ لإقامة المسألة ودحضِ الشّبهة[5]، وهو هنا استفهامٌ عنِ اتّخاذ المُشار إليه إلَهَهُ هواه، ولا أعجبَ من هذا الفعل.

بلاغةُ التّعبيرِ بالمَجازِ في الإخبارِ بفعلِ الرّؤيةِ:

انظُرْ وتعجَّبْ من حالِ هذا الضّالِّ الَّذي اتّخَذ إلَهَهُ هواه

التّعبيرُ بفعل الرّؤيةِ الواقعِ في حيّزِ الاستفهامِ في قولِهِ تعالى:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 35.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 63.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 220 - 221، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 201.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5286.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 7/ 341.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ هو من باب المَجاز؛ لدلالته على التّقرير والتّعجيبِ لا الاستفهام؛ أيْ: لتقريرِ الرّؤية، بمعنى: انظُر ورَ من حال هذا النّاكبِ عن طريقِ الصّراطِ، ويتولّد من ذلك التّعجيبُ منِ اتّخاذه المَذكورَ المَذمومَ[1].

بيانُ المُخاطَب في ﴿أَرَءَيْتَ﴾:

نـداءٌ للـرّسـولِ ﷺ للتّعجيبِ مـن شـأنِ مَـنْ جَعَلَ إِلَهَهُ هواه

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ موجَّهٌ للرّسول ﷺ؛ أي: انظُر إلى هذا الَّذي لا يَرى معبودًا غيرَ هواه، كيف يُمكن أن تدعوَه إلى الهدى؟ أفتكونُ منك الوكالةُ عليه، فتجبرَه على الإيمان، ولا إكراهَ في الدّين؟![2].

غرضُ التّعبيرِ باسمِ الموصولِ وصلتِهِ:

مفعولُ الرُّؤيةِ صـادقٌ عـلى الجَمعِ المُتحدَّثِ عنهم فيما سَبَق

﴿مَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ اسمٌ موصولٌ في محلّ نصبٍ، وهو مفعولُ ﴿أَرَءَيْتَ﴾[3]، يُستعمَل للعاقلِ، ويصدُق على الجمع الَّذي يُتَحدّث عنه في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، وأمّا ضمائرُ الصّلة فمبنيّةٌ على الإفراد لفظًا، ﴿ٱتَّخَذَ﴾؛ أيْ: هو، و﴿إِلَٰهَهُۥ﴾؛ أيْ: هو، و﴿هَوَىٰهُ﴾؛ أيْ: هو؛ مراعاةً للفظ ﴿مَنِ﴾، فإنّه مفردٌ لفظًا، مجموعٌ معنًى؛ أيْ: مَنِ اتّخذوا هواهم إلهًا لهم[4]، وذِكْرُ الموصول ﴿مَنِ﴾ مُتصدّرًا بعد الفعل ﴿أَرَءَيْتَ﴾ إيذانٌ بأنّ المُرادَ الاهتمامُ به، وتسليطُ الضّوءِ عليه، لا باعتبار ذاته وشخصه ممّا قد ينصرف إلى الذّهن من ذلك التّقديم؛ بل باعتبار الأحوال الَّتي تُذْكَر عنه بعدَه منِ اتّخاذه الهوى إلهًا معبودًا سوى الحقِّ سبحانه[5]، والتّعبيرُ بالاسم الموصول ﴿مَنِ﴾

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 106 - 107.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 282.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 72.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 36.
(5) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 62.

في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ في إشارةٍ إلى عِلّة بناء الخبر على الصّلة؛ فإنّ التّعجيبَ من حال هذا الشّقيّ الكافرِ كان بموجب اتّخاذِه إلَهَهُ هواه، فيتَّبِعُه في كلّ حين؛ فيَجْعلُ معبودَه وإلَهَه بحسَب اختياره لنفسه[1] بما يُرضي شهواتِه ونَزواتِه.

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ الاتّخاذِ:

تكلّفَ وأجهدَ نفسَه خلافَ الطّبيعةِ والفِطرةِ السّليمةِ

استُعملت صيغةُ الاتّخاذِ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ﴾؛ فالفعل ﴿ٱتَّخَذَ﴾ وزنه (افْتَعَل)، وهو وزنٌ دالٌّ على التَّكلُّف في معاني الصّيغ في العربيّة[2]؛ فأوثِر هنا ولم يُستعمَل الفعلُ المُجرَّد (أخذَ)؛ لِما تمنحُه هذه الصّيغةُ من معنى التّكلُّف[3]، فإنّه طلبَ وأجهد نفسَه خلافَ الطّبيعةِ والفطرةِ السّليمةِ، فجعلَ هواه إلهًا له، فلا يكون له ذلك إلّا بمجاهدةِ النّفسِ في تركِ فِطرتِها.

بلاغةُ التّقديمِ والتّأخيرِ في ذِكْرِ مفعوليّ ﴿ٱتَّخَذَ﴾:

انظُرْ وتعجّبْ ممّن يتّخِذُ هواه إلهًا معبودًا

قُدِّمَ المفعول الثّاني على المفعول الأوّل في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾؛ اعتناءً به؛ لأنّ مَدار التّعجُّب يدور عليه؛ لأنّ المفعول الثّاني (الهوى) هو المُتلبِّس بالحدوثِ والتّغيير بأن يجعل هواه إلَهَ نفسِه؛ فيبني عليه أمرَ دينِه، مُعْرِضًا عن براهين الحقّ سبحانه، والمعنى: انظرْ إليه، وتعجّب منه[4]، ويجوز أن يكون ترتيبُ المَفعولَيْن جاريًا على الأصلِ؛ لاستوائهما في التّعريفِ بالإضافةِ إلى الضّميرِ؛ فيكون معنى ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أنّ الحقّ ﷻ هو الإله الّذي يجب أن يُعْبَد؛ فالمعنى: أنّه اتّخذَ اللّهَ هواه وعنايته، وهو غير مذمومٍ[5]، وإجراءُ قولِه تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ على التّرتيب المعهود من

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 459.
(2) الزّمخشريّ، المُفصَّل، ص: 371.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 392.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 221.
(5) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 39.

غير تقديم ولا تأخير "معناه: جعل إلَهَهُ الشّيءَ الَّذي يهوى عبادَتَه؛ أيْ: لُمجرَّد الشّهوةِ، لا لأنّ إلَهَهُ مستَحِقٌّ للإلَهيَّة؛ فالمعنى: من اتَّخذ ربًّا له محبوبَه، فإنّ الَّذين عبدوا الأصنام كانت شهوتُهم في أن يعبدوها، وليست لهم حُجَّة على استحقاقها العبادةَ"[1]، ويجوز في تقديم المفعول الثّاني ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ على الأوّل ﴿هَوَىٰهُ﴾ الإشعارُ بالثّبات بخلاف المُتأخّر، فتَقدُّمُ الإلهِ يُشْعِرُ بوجوب وجودِ الإلهِ له، كما يُقال: اتّخذ فلانٌ ابنَه غلامَه، فإنّه مؤذِنٌ بأنّ له ابنًا، ولا يُشْعِر بأنّ له غلامًا على وجهِ الحقيقةِ، فهذه فائدةُ تقديمِ الإلهِ على الهوى[2].

بلاغةُ التّشبيهِ البليغِ في تشبيه الهوى بالإلهِ:

عندما يُسيطرُ الهوى على الإنسانِ يصبح إلهًا يُعْبَد

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ من باب التّشبيه البليغ؛ إذ يُشبِّه الحقُّ ﷻ حالَ مَنِ انقاد لهواه، واستولى عليه سلطانُه، بحال عبدٍ مُذَلّل مُسْتعبَد لإلهه، يُطيعُه في جميع أوامره ونواهيه، دون أيِّ تفكيرٍ أو تحليلٍ، فكما أنّ العبد يُطيع إلَهَهُ خضوعًا وخوفًا، كذلك فإنّ منِ انقاد لهواه أصبح هواه إلَهَهُ، يُطيعه في أُموره ونَواهيه كلّها، من غير أيِّ مقاومةٍ أو قدرةٍ[3]، وإذا جُعل التّرتيب في الآية من باب تقديم المفعول الثّاني على المفعول الأوّل، فيتحصّل من ذلك التّشبيهُ البليغُ، فإنّ هذا الضّالّ قد جعل الهوى أسوةً له في أفعاله، فلا يأتي شيئًا منه إلّا ما كان موافقًا لشهوته، فكأنّ هواه إلَهُه، وهو معنًى أبلغُ في الذّمِّ؛ لأنّه يشمل عبادة الأصنام، وغيرَ ذلك منَ المُنكَرات والفواحش[4]، وفي ترتيب المفعولَيْن في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أيضًا فائدةُ القَصْر؛ فالمعنى: أنّ هذا الشّخص المذموم قد حصَرَ عبادته في إلهٍ واحدٍ هو هواه، ممّا يدلّ على فساده، وانعدامِ صلاحه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 35.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 24.
(3) يحيى العَلَويّ، الطّراز: 2/ 4.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 35.

وقد يُضلِّل غيرَه أيضًا، ويَجُرُّهم إلى طريق الضّلال؛ والمعنى: أنّه لم يتّخذ غيرَ الهوى إلهًا[1].

نُكْتَةُ فصلِ قولِهِ: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾:

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ عمّا قبله من اتّخاذِ المذمومِ إلَهَهُ هواه؛ لأنّها جملةٌ مُستأنفةٌ، ساقها الحقُّ سبحانه لاستبعادِ الرّسولِ ﷺ عن كونِهِ حفيظًا على من اتّخذ هواه إلهًا، فيرشده إلى الحقِّ طوعًا أو كَرهًا[2]؛ فاللّهُ تعالى وحدَه هو القادرُ على هدايةِ عبادِهِ.

استئنافٌ مَسوقٌ لاستبعادِ الرّسولِ عن كونِه حفيظًا لهدايةِ الضّالّين

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغرضُه:

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ إنكاريٌّ؛ والمعنى: استبعاد كونه ﷺ يُجبِر أحدًا على الإيمان، أو أن يكون حفيظًا عليه، أو أن يُغيّر قناعتَه، ويزجرَه عمّا هو عليه منَ الضّلال، فلا وكالةَ له على إيمانِ أحدٍ، ولا سلطانَ له على إرشادِ الضّالِّ إلى الحقِّ طوعًا أو كَرهًا[3].

استبعادُ إجبارِهم على الهدايةِ، فلا وكالةَ على الإيمانِ، ولا سلطانَ على الإرشادِ

علاقةُ الاستفهامِ الثّاني بالأوّلِ على اتّصالِهما أوِ انفصالِهما:

هناك علاقةٌ بينَ الاستفهام الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، والاستفهامِ الثّاني، وهو قولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾، فإن كانت العلاقة اتّصاليّةً؛ تعيّن أن يكون فعل الرّؤية فعلًا قلبيًّا؛ بمعنى: أعلمتَ؟ ويكون السّؤالان إنكاريّيْن، والهمزة الثّانية توكيدًا للأولى، ويكون معنى الجُملتيْن: (أرأيتَكَ تكون وكيلًا على منِ اتّخذ إلَهَهُ هواه)، وتكونُ الجملة الثّانية بمنزلةِ المفعول الثّاني لفعل الرّؤية القلبيّ[4]، أمّا إذا كان نَظمُ الكلام

متّصلان على معنى: أرأيتَكَ تكون وكيلًا على منِ اتّخذَ إلَهَهُ هواه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 463.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 25، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 201.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 221.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 35 - 36.

على نيّة الانفصال، بأن تكون كلّ جملة مستقلَّة عنِ الأُخرى جُعِلَ الاستفهامُ في الجملة الأولى مبنيًّا على التّعجيب من حالهم باتِّخاذ إلههم هواهم، وهو تعجيبٌ مختلِطٌ بالإنكار، ويكون الاستفهام في الجملة الثّانية إنكاريًّا محضًا، على معنى: إنّك لن تستطيع دفعَه عن ضلاله وكفره[1].

معنى الفاءِ ودلالتُها على المحذوفِ في ﴿أَفَأَنتَ﴾:

لمّا لم يكن بمقدور النّبيّ ﷺ أن يصرف الهوى عنهم؛ لأنّ ذلك بيد اللّه وحده، تسبّب عن شِدّة حرصه على هدايتهم قولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[2]؛ فالفاء دالّةٌ على السّببيّة، ويجوز أن تكون الفاء دالّةً على التّرتيب؛ أيْ: ترتيب الإنكار على ما قبله[3] من الحالة الموجِبة باتّخاذه الهوى إلهًا، كأنّه قيل: أبعدَ ما شوهِد من غُلوِّه بمتابعته الهوى، وعُتوّه عنِ السّير في طريق الهدى، تُجبرُه على الإيمان شاء أو أبى؟[4] فإجبارُ النّاس على الإيمان أمرٌ لا يُجدي نفعًا، والإيمانُ الحقيقيّ ينبع منَ القلب عنِ اقتناع، وليست مَهمّة الرّسول إلّا التّبليغ، واللّه الهادي إلى سواء السّبيل، ويجوز في الفاء أن تكون دالّةً على جواب الشّرط للموصول المُشبَّه بالشّرط[5]، أو الّذي عومِل معاملةَ الشّرط على جعل الاستفهامَيْن إنكاريّيْن، ويجوز أن تكون الفاء تفريعيّة؛ تُفرّع الجملة الثّانية على التّعجيب والإنكار الوارد في الجملة الأولى[6].

لن تكونَ وكيلًا عليهم ولو حرصتَ بصَرْفِ الهوى عنهم

غرضُ تقديمِ المُسنَدِ إليه ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ﴾:

قُدِّم المُسنَدُ إليه على المُسنَدِ الفعليِّ في قولِه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ

تقويةُ إنكارِ تحميلِ الرّسولِ نفسَه الحرصَ على هدايةِ قومِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 36.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 394.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 103.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 221.
(5) فاضل السّامرّائيّ، معاني النّحو: 1/ 18.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 36.

تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾؛ للتّقوّي، وهو بذلك يُشير إلى إنكارِ ما كان الرّسولُ ﷺ يُحمّل نفسَه منَ الاهتمام والحِرص والحُزن في طلبِ تركِهم الهوى والإقلاع عنه؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99][1]، وفي إيلاء (أنت) بينَ الهمزة وفعل الكون في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ للتّركيز على الفاعل (أنت)، وجَعْلِه محورَ الإنكار، وليس إلى الفعل ﴿تَكُونُ﴾ بحدّ ذاته، ففي التّركيب معنى القَصْر؛ لأنّ الإنكار مُختَصٌّ بالفاعل دونَ غيره، ولو كان المُرادُ إنكارَ الفعل لما أتى به بأن يُقال: أفتكون عليه وكيلًا؟[2].

فائدةُ التّعبيرِ بفعلِ الكَونِ مضارعًا:

استُعمِل فعلُ الكون ﴿تَكُونُ﴾ بصيغة المضارع، مُؤثِرًا إيّاه على صيغة الماضي؛ لشمولِ المضارع إنكارَ الوكالةِ في جميعِ الأزمانِ؛ حاضرًا ومستقبلًا، خلافَ الماضي المَقصورِ على ما مضى؛ ليبقى الحالُ والاستقبالُ خارجَيْن عن إنكار الوكالة، فيجوز وقوعُها في أحدِهما أو كليهما، وهو غيرُ مرادٍ البتّة[3].

استمراريّةُ الإنكارِ والرَّفضِ الّذي لا ينقطعُ

نُكْتَةُ تعديَةِ ﴿وَكِيلًا﴾ بـ(على):

عُدّيَ الوكيلُ في قولِه تعالى: ﴿عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ بالحرفِ الدّالِّ على الاستعلاءِ (على)؛ لأنّ مرادَه ﷺ الحرصُ على هدايتِهم إلى طريقِ الحقِّ المُبينِ، وطلبُ الرّحمةِ لهم من ربِّ العالَمين، وابتغاؤه ردَّهم عنِ الغَيِّ[4].

حرصُه ﷺ على هدايتِهم ورحمتِهم، وردِّهم عن طريقِ الغَيِّ

غرضُ تقديمِ شِبهِ الجملةِ ﴿عَلَيْهِ﴾:

قُدِّم شِبهُ الجملةِ على الخبرِ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾؛

لستَ وكيلًا عليه خاصّةً، فقد اهتدى على يديكَ الكثيرُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 36.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 63.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 63.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 394.

لإفادة الاختصاصِ؛ أيْ: أن تكونَ عليه وكيلًا على وجه الخصوص؛ لأنّ قولَ: أفأنت تكون وكيلًا عليه؛ أيْ: وعلى غيره، لا يستقيم؛ فقد هدَى الرّسولُ ﷺ الكثيرَ ممّن استجابوا له ولدعوته، وقد مدحه الحقُّ سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: 52]، أمّا الهداية الخاصّة فلا تكون إلّا بإذنه سبحانه[1].

الغرضُ من تنكيرِ ﴿وَكِيلًا﴾:

وقعَ لفظُ الوكيل في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ نكرةً؛ للدّلالة على العموم؛ أيْ: أنّ الرّسول ﷺ لا يُمكن أن يكون وكيلًا حفيظًا على أيِّ ضالٍّ اتّخذ هواه إلهًا، ولا قدرة له على حفظه منَ الوقوع في الكفر والضّلال[2].

لا يُمكن أن يكون الـرّسـولُ وكيلًا حفيظًا على أيّ ضالٍّ اتّخذ هواه إلهًا

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوَكيل والكَفيل والوَليّ والنّصير:

الوكيل: الحفيظ الّذي يهديهم، ويُخرجهم منَ الظّلماتِ إلى النّورِ[3]، أمّا الكفيلُ: فهو المُتكفّل بأمرِهِ، الضّامنُ له[4].

وأمّا الوَليُّ فمن (ولي)؛ وهو أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قُرْبٍ، يُقال: تباعَدَ بعْدَ ولْيٍ؛ أيْ: قرب[5]، وتُستعار الولاية للقُرب من حيثُ المكان، ومن حيثُ النّسبة، ومن حيثُ الدّين، ومن حيثُ الصّداقة والنُّصرة والاعتقاد، والوِلايَةُ: النُّصْرةُ[6].

لـسـتَ بحفيظٍ عليهم ترعاهم وتُخرجُهم منَ الـظّـلـمـاتِ إلى النّورِ

وأمّا النّصير: فهو النّاصِر، والجمع: الأنصار، من نصر ينصُر، وهو أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إتيان خيرٍ وإيتائه، والنَّصْرُ والنُّصْرَةُ:

(1) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 19/ 23.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 201.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5286.
(4) الرّاغب، المُفرَدات: (كفل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ولي).
(6) الرّاغب، المُفرَدات: (ولي).

العَوْنُ، والتَّناصُرُ: التَّعاوُن، واستنصَره على عدوّه؛ أيْ: سأله أن يَنْصُرَهُ عليه، وتَناصَروا: نَصَرَ بعضُهم بعضًا[1]، فالنّصير يُطلَق على كلّ مَن يُعين أحدًا على مَن يريد به ضُرًّا.

وإذا تمعّنّا في الآية ألفَينا أنَّ وصف الوكيل ألصَقُ بسياق الآية، وأنسَبُ منَ المفردات الأخرى، وإن كان ثمّةَ تقارُبٌ بينَها في المعنى.

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات: (نصر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»